ندوة حول حياة المستعرب كراتشقوفسكي وأعماله

دعا المركز الثقافي السوفييتي بدمشق مساء الأربعاء ١٦/٣/١٩٨٣ إلى ندوة خصصت للحديث عن المستعرب السوفييتي الكبير أغناطيوس كراتشقوفسكي بمناسبة الذكرى المئوية لميلاده ، وقد شارك في الندوة السادة : الدكتور عبد الكريم اليافي عضو مجمع اللغة العربية ، والدكتور كوتشا جعفر يدزة رئيس المركز الثقافي السوفييتي بدمشق ، والأستاذ الأديب سعيد حورانية .

تحدث الدكتور كوتشا جعفر يدزة في بداية الندوة عن حياة المستعرب كراتشقوفسكي وأعماله ، فذكر بأنه روسي المنشأ . ولد في ١٦/٣/١٨٨٣ في أسرة علم ، يعمل ربها في مجال التربية ، مما هيأ له سبل الوصول إلى أعلى مراحل الدراسة ، فحصل على الإجازة الجامعية عام ١٩٠٥ م من كلية الدراسات الشرقية ، وعين أستاذاً في قسم اللغة العربية في الكلية نفسها . وفي عام ١٩٠٨ أوفد إلى المشرق العربي لدراسة اللغة العربية عن قرب . وللتعرف على رجالات العلم والأدب ، فأقام في جامعة القديس يوسف ببيروت ، وزار مصر مرتين ، وزار دمشق وحلب وحمص وحماة والقدس والناصرة ، وتعرف على المخطوطات فيها وعمل بها ... وعاد إلى وطنه عام ١٩١٠ ليعاود سيرته الأولى ويتابع عمله التربوي ، وفي عام ١٩٢١ انتخب عضواً عاملاً في أكاديمية العلوم ، وفي عام ١٩٢٣ انتخب عضواً مراسلاً في المجمع العلمي العربي بدمشق ، واشترك في

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

نشاطاته ، كما انتخب عضو شرف في المجمع العلمي العراقي . ثم أصبح رئيساً لقسم اللغة العربية للأكاديمية في لينينغراد عام ١٩٣٠ . واستمر في عطائه العلمي إلى أن توفي في ١٩٥١/١/٢٤ ، ودفن في لينينغراد .

أما أعماله فقد أربت على الخمسين والأربعمائة . وكان تاريخ الأدب العربي من أكبر اهتماماته .. فدرس حياة الوأواء الدمشقي وشعره .. وأعمال المعري ، وشعر أئمة الابداع في الأدب العربي كعمر بن أبي ربيعة ، والخنساء ، وابن المعتز ، والبحتري ، وذي الرمة ، والشنفرى .. وترجم بعض أعمالهم إلى اللغة الروسية كنشيد الصحراء للشنفرى و « رسالة الملائكة » للمعري ... ووضع العديد من الكتب حول تاريخ الأدب العربي ككتاب « الملاحظات العامة حول تطور الشعر العربي » ألفه عام ١٩٢٤ ، وكتاب « الشاعرية العربية في القرن التاسع » عام ١٩٣٠ . وجذبته الحركة الأدبية التي ظهرت في الأندلس فأفرد لها دراسة في كتاب ألفه عام ١٩٤٠ .

وكانت المخطوطات شغله الشاغل .. بحث عنها في كل مكان ، وكشف عن بعضها ككتاب « المنازل والديار » لأسامة بن منقذ ، ومخطوطات ابن مماتي ..

كما أولى اهتمامه أيضاً الجغرافية العربية .. فدرس نشأتها ، وساير مراحل نموها .. ولم تفته دراسة الأدب العربي الحديث ، خاصة أنه عاش مرحلة انبعاثه في أوائل القرن العشرين ، وواكب أعلامه الذين أقاموا صرحه ، وشادوا بنيانه كأمين الريحاني ، وبطرس البستاني ، وجرجي زيدان ، وقاسم أمين ، وطه حسين .. فألف كتاب « الأدب العربي الحديث » عام ١٩٣٥ ، و « الأدب العربي في القرن العشرين » عام

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

١٩٤٠ ، و « الأدب العربي المعاصر » عام ١٩٤٧ . فكان أحد مؤسسي فرع دراسة الأدب العربي الحديث ...

ونتيجة تعلقه باللغة العربية وآدابها دعا إلى الاستعراب وشجع عليه .. وألف كتاب « تاريخ الاستعراب الروسي » فمنح بسببه جائزة الدولة السوفييتية .

وبلغ به حبه للغة العربية أن أوصى بكتابة بيتين من الشعر العربي على قبره ..

أحدهما بيت الخنساء :

وكنت أعير الدمع قبلك من بكى

والآخر لأبي العتاهية :

الموت باب وكل الناس داخله

ثم تحدث الأستاذ الأديب سعيد حورانية فتناول منهج كراتشقوفسكي في التحقيق والتثبت من النصوص . فأشاد بمقدرته على الاستنتاج ، ودقته العلمية في ضبط النصوص ، وسعة أبحاثه ، فقد غطى كل مراحل الأدب العربي من الشنفرى إلى أمين الريحاني بالإضافة إلى تعمقه في دراسة بعض أعلام الأدب العربي الذين اعترى مؤلفاتهم الغموض ، ودارت حول آثارهم المناقشات كالمعري ، وتحريه عن صدق بعض النظريات حول أصل الشعر الجاهلي التي بدأ يثيرها بعض المستشرقين ، وتبناها عدد من الأدباء العرب .. وأفاض الأستاذ حورانية في حديثه عن شغف كراتشقوفسكي في تحري الدقة العلمية في مثل قصة مجنون بني عامر ، فاستعرض كل المصادر التي أتت على ذكر القصة ، وقارن بينها بصدق العالم ، وأناة الباحث .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وكان مسك الختام حديثاً للدكتور عبد الكريم اليافي الذي استوفى حياة المستعرب وعلاقاته العلمية واتجاهاته الفكرية وأعماله الاستشراقية .. فأضاف ملاحظات جليلة ، ونفذ ببصيرة المفكر إلى أعماق كراتشقوفسكي ، فعلل ولعه بالشرق ، وحبه للغة العرب إلى نشأته في أوزبكستان حيث عمل أبوه لسنوات .. عايش أهلها الذين يدينون بالإسلام ، فأحب عاداتهم ، وأعجب بلغتهم .. وكبر هذا الحب في قلبه مع الأيام . فاتجه إلى دراسة بعض اللغات الشرقية والسامية ، إلا أنه آثر البقاء في رحاب العربية ، فانصرف إلى دراستها ، والتعمق في شعابها ، ولاقى في ذلك الكثير من الصعاب .. لكنه عزم على السير في هذا السبيل حتى أنه حبس نفسه في قرية من قرى لبنان ، لا يستمع إلا إلى أهلها . ولا يتكلم إلا بلسانهم ، فأضحى من يسمعه يحسب أنه عربي أصيل .

في رحلته إلى البلاد العربية تجاذبه أمران : صداقته للكتب والمخطوطات من جهة ، وصداقته للناس من جهة أخرى .

تعرف على المخطوطات في مكتبات بيروت ودمشق (مكتبة الملك الظاهر ـ كما كان يدعوها ـ) وحلب والقاهرة (المكتبة الخديوية ، ومكتبة الأزهر) .

وتعرف على أعلام الأدب ، والباحثين العرب والأجانب في ذاك الوقت كالريحاني ، وجرجي زيدان ، ومحمد كرد علي ، ولامنس ، ونللينو وغيرهم ...

ومن خلال معايشته للمخطوطات ، وإدامته النظر بها استطاع أن يبعث بعض كنوزها .. ففي المكتبة الخديوية بمصر وجد مخطوطته « ديوان الوأواء الدمشقي » فأحياها وطبعها عام ١٩١٣ م . كما اكتشف

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

مخطوطة « رسالة الملائكة » للمعري ونشرها عام ١٩٣٢ . وكان له الفضل في اكتشاف بعض مخطوطات أسامة بن منقذ كما سلف .

وفك رموز بعض النصوص العربية المكتشفة ..

ولكنه وجّه جل اهتمامه لتاريخ الأدب العربي ودراسة أعلامه .. فأظهر أعمال الشنفرى ، وعمرو بن قميئة ، وسلامة بن جندل ، والنعمان بن بشير ، وأبي دهبل الجمحي ، ومسلم بن الوليد ، وأبي نواس ، وابن المعتز ، وعلي بن الجهم ..

وكتب سلسلة مقالات نوه بها بأعلام الأدب الحديث .. وبالتيارات الأدبية المهجرية ..

وترجم إلى اللغة الروسية « كليلة ودمنة » وقصة « الأيام » لطه حسين . و « رسالة الملائكة » للمعري و « ديوان الوأواء الدمشقي » . وكان أول من كتب بالروسية عن الأدب العربي الحديث وأعلامه .

وفي عام ١٩٦٣ صدرت له ترجمة كان قد أعدها للقرآن الكريم باللغة الروسية .

واختتم الدكتور اليافي حديثه عن المستعرب الكبير بأبيات من نظمه ..

وسوف تنشر مقالة الأستاذ الدكتور اليافي في العدد المقبل من مجلة المجمع

فادية محي الدين

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net